فلسفة التأصيل السنني للتاريخ (محمد باقر الصدر أنموذجاً)

م.م. هالة جاسم محمد ماضي*

الكلمات المفتاحية: فلسفة التاريخ– التأصيل السنني– سنن التاريخ– فلسفة الانتظار

The philosophy of the Sunni rooting of history (Muhammad (Baqir al-Sadr as a model

Keywords: philosophy of history - Sunnah rooting - laws of history - philosophy of waiting

المستخلص:

يدرس هذا البحث حاجة الإنسان إلى معرفة القوانين أو السنن التي تحكم حركة التاريخ في صيرورته وسيرورته وتتبع تلك السنن في المحتوى القرآني وكشف أَساليبها وخصائصها وأَشكالها والتفريق بين ميدان السنن على الساحة التاريخية واستيعابها لتكون حاضرة، والاستفادة منها في المستقبل وقد كشف لنا السيد محمد باقر الصدر تلك السنن لتكون ذات محتوى تأصيلي مقابل للفكر الغربي بكل مدارسه الفلسفية للتاريخ والطروحات الانسانية الوضعية والكنيسية والمثالية والواقعية ذات العنصر الواحد والمتمحور حول مركزية العقل أو مصدر السماء وارتباطه المباشر التي كانت بنظر الصدر طروحات محدودة الُأفق في التقنيين للتاريخ وفلسفته واستشراف المستقبل؛ لذلك طرح الصدر منهجه الذي اعتمد فيه على عنصرين إلهي وانساني تحت اسم (منطقة الفراغ) وهو الاطار العام لنظرية الصدر المتكاملة في السنن الكونية ذات المضمون الاجتماعي والاقتصادي والفقهي والتاريخي وبهذا فتح لنا الصدر بحثاً علميا ومعرفياً جديداً ومدرسة متكاملة في مجال فلسفة التاريخ.

Abstract:

This paper studies the human need to know the rules that govern the movement of history in its formation and orientation,and follow those rules in the Qur'anic content, and reveal their methods, characteristics, forms and differentiate between the field of rules in the historical context, and assimilate them to be present and make use of them in the future

Muhammad Baqir Al-Sadr reveals those rules to have an original content corresponding to Western thought in all its philosophical schools of history and rooting rules history and Positive, humanitarian , idealistic realistic proposals which have one-element centered around the centrality of the mind or the source of the sky and its direct connection, which in Al-Sadr's view were limited proposals in the rationing of history and, its philosophy and Forecasting the future Therefore, al-Sadr presented his approach, in which he relied on two elements: divine and human under the name (Mintaqat al-faragh which is the general integrated framework for al-Sadr's theory in the cosmic rules with social, economic, jurisprudential and historical conten .Thus, Al-Sadar open a

* كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
halahjasim88@gmail.com

new, cognitive, academic, research and an integrated school in the field of Philosophy of history.

المقدمة

إنَّ اشكالية تحديد المصطلح والمضمون في ميدان فلسفة التأريخ أو سنن التاريخ كانت مدار البحث وآراء مختلفة لدى الباحثين وآرائهم المختلفة. في الفلسفات الغربية الحديثة والساحة الاسلامية المعاصرة، وجل غايتنا هو تسليط الضوء على الفلسفات الاسلامية في هذا المجال والبحث عن تأصيل للتاريخ وسننه في المدرسة الاسلامية ونجد أنَّ السيد محمد باقر الصدر قَدم لنا أنموذجاً يمثل الفكر الاسلامي المعاصر في العديد من المجالات لاسيما فلسفة التاريخ وسننه وهذا ما وجدناه متناثر في مؤلفاته يُعد منها اتجاهاً متكاملاً من جهة تأصيلية ثابتة تتعامل مع معطيات الواقع المتغير ومن جهة اخرى تُعد مدرسة تقابل الآراء والمدارس والفلسفات الموجودة في العالم المحدث بأختلاف مناهجها السماوية والوضعية.

ولم يغفل الصدر في منهجه عنصرين اساسين هما آللاهي والبشري وهذا ماميزه عن غيره من المناهج واستحق أن يكون أنموذجاً متكاملاً قابلاً للبحث والدراسة واستخراج الأَفكار التي سنحاول في هذا البحث تسطيرها في صفحات عدّة وفق منهجية متتبعة للنص والمضمون والمعنى وبناءً على هذا قسم البحث على ثلاثة مباحث تناول فيه الباحث المبحث الأول تناول فيه الباحث فلسفة التاريخ (المصطلح والمحتوى) وقسم على مطلبين الاول: تناولنا فيه فلسفة التاريخ من حيث المصطلح والمحتوى، والمطلب الثاني: بحث في اتجاهان فلسفة التاريخ، اما المبحث الثاني بينا فيه التأصيل السنني للتأريخ قسم على مطالب الاول: درسنا فكرة السنن التأريخية والمطلب الثاني: أَساليب السنن التأريخية وخصائصها اما المطلب الثالث: تناولنا فيه اشكال سنن التاريخ وظواهرها، اما المبحث الثالث: وضحنا فيه نقد الطرح الغربي وقسم على ثلاثة مطالب إلى مطالب الأول: جاء فيه نقد المنهج الكنيسي في العصور الوسطى والمطلب الثاني: جاء فيه نقد المنهج الوضعي في أوربا الحديثة والمطلب الثالث: تناولنا فيه فلسفة الانتظار والنموذج الحضاري الامثل.

المبحث الأول: فلسفة التاريخ (المصطلح والمحتوى)

المطلب الأول: فلسفة التاريخ من حيث المصطلح.

يرى فريق من الباحثين أنّ فلسفة التاريخ كمصطلح وجدت مع (فولتير). وكان لهذا المصطلح تعريفات عَدّة فوجدنا تعريفاً لها يقول بأنّها: (البحث في اساس الحياة الاجتماعية وأسباب تغيرها وتطوير المجتمع الانساني ودراسة المجتمعات المعاصرة بأفق مستقبلية ومعرفة القوانين التي تحكم هذا التطور)(١). وهل هذه القوانين موضوعية أو ذاتية ونعتقد أن فلسفة التاريخ هي النظر العقلي في مصادر التأريخ سواء كانت دينية أم وضعية؛ من أجل أستخلاص القوانين التي تتحكم في سير حركة التأريخ.

لم يتفق فريق من المفكرين والباحثين حول تحديد نقطة البداية لفلسفة التاريخ من حيث المحتوى فاختلفوا في ذلك إلى فرق:

الفريق الأول: يرى أنَّ بن خلدون لم يؤدي دوراً بارزاً ومؤثراً في ممارسة الوعي التاريخي فحسب بل يعتقد أنّه حمل شرف تأسيس فلسفة التاريخ(٢)

الفريق الثاني: يعتقد أنّ أبن خلدون هذا المفكر الاسطوري لم تكن اراؤه في المقدمة

إلا بعد الاطلاع على رسائل اخوان الصفا ولاسيما ما يخص فلسفة التاريخ الأَمر الذي جعله أن أولوية تأسيس فلسفة التأريخ تعود لاخوان الصفا دون غيرهم) (٣)

ونرى العكس من ذلك ليس بن خلدون أول من اكتشف التفسير الاسلامي للتاريخ ولا اخوان الصفا دون غيرهم. بل أن القرآن الكريم قد استوعب هذا المنهج وأن الرسول الكريم محمد (ص) طبق هذا المنهج وأن الامام علي (ع) كشف عنه في خطب نهج البلاغة لاسيما رسالة الامام علي (ع) إلى مالك الاشتر ووصيته إلى ولده الامام الحسن (ع) على الرغم من وجود بعض المحاولات في الفكر الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري لا تعد سوى شذرات في طريق ممارسة الوعي التاريخي ولا توازن مع جهد ابن خلدون الذي قام بمحاولة دراسة التاريخ وكشف سننه وقوانينه ثم توسعت دراسة التاريخ وفلسفته مع فلاسفة القرن في الفكر الحديث المعاصرمن تفسير تشاؤمي، نيقولا ميكافيلي وفردريك نيتشه، وهنالك تفسيرحيوي يمثله فيكون، وتفسير جدلي، يمثلهِ هيجل وتفسير انساني يمثله فوكاياما.

المطلب الثاني: اتجاهان في فلسفة التاريخ

إنّ السؤال المهم لموضوع بحثنا هو هل أستطاع المفكرون المسلمون في الفكر المعاصر الحديث تقديم أتجاه خاص أو نظرية في فلسفة التأريخ أم أقتصر الأمر على مجرد استعارات أصطلاحية؟ للجواب على ذلك أقول إنَّ هنالك خطين أو اتجاهين في فلسفة التأريخ عند علماء الاسلام المحدثين وهما:

أولاً: اتجاه مغترب في فلسفة التاريخ

لقد تأثر علماء الإسلام – أو على الأَقل بعضهم – بالكثير من أفكار الحضارة الغربية وانظمتها وتنظير مفكريها على مختلف الصعد وما نريده هو تبيان تأثر بعض مفكري الإسلام بالغرب في موضوع بحثنا (فلسفة التاريخ). إذ نرى الكثير من العلماء المسلمين المعاصرين تأثروا بالكثير من المفاهيم الفلسفية في مضمار التاريخ وحركته وفلسفته ومن بين هذه التأثيرات تقسيمهم للتاريخ الاسلامي والعربي على غرار تاريخ الغرب إلى عصور قديمة ووسيطة وحديثة ثم وصفوا بعض العصور بالظلامية وبعضها الآخر بالتنويرية غير ملتفتين إلى أنَّ هذه تقسيمات تبقى نسبية.

كما إنَّهم اتبعوا الغربين في تقسيم الشعوب على أساس طبقي أو بحسب وسائل الانتاج ونراهم أنكروا العامل الروحي والاخلاقي في تفسيرهم لحركة التاريخ لأنهم عدّوا التقدم التكنلوجي الهائل والحصيلة المادية الضخمة التي حظى بها الإنسان الغربي خير مثال على ذلك(٤)، علماً انه لدى التحقيق تبين لنا

أنّ العوامل المادية والتكنولوجية اسلحة ذات حدين الحد المدمر والحد المعمر ولا يمكن ان نضمن الحد الثاني الا بالضمانة الروحية والاخلاقية والدينية.

ولقد حاول عدد من علماء المسلمين التوفيق بين الإسلام وتعاليمه الإلهية المنيرة من جهة والمذاهب المادية وفلسفات التاريخ الوضعية الغربية من جهة أخرى مما يعني انهم يخوضون مغامرة غير محسوبة النتائج ويتعرضون لطرق وعرّة ومزالق فكرية هائلة وبحر خضم من غير الوصول إلى شاطئه الآمن .

ثانياً: اتجاه يعتمد الأصالة وآفاق المعاصرة في التاريخ وفلسفته

يوجد في قبالة الخط الأول الذي بيناه خط فكري اسلامي آخر رفيع المستوى حاول أن يؤسس لنظيرات اسلامية اصيلة بعيدة عن كلّ شائبة أو فكرة دخيلة على الموروث الاسلامي الصافي(الكتاب والسنة) ومن الذين مثلوا هذا الخط وسعوا جاهدين إلى تمثيله – على سبيل المثال لا الحصر (مالك بن نبي ومرتضى مطهري ومحمد تقي الجعفري، ومحمد تقي مصباح اليزدي وجودت سعد وعماد الدين خليل وغيرهم). ولكنَّهم على كلّ حال – مع التقدير العظيم لجهودهم الكبيرة في هذا المضمار– لم يستطيعوا أَن يتوصلوا إلى نظرية تاريخية متكاملة تمثل الرأي الاسلامي الصافي – إلى أنّ اتى باقر الصدر منظر الفكر الإسلامي المعاصر الذي اعطى صورة متكاملة عن نظرية فلسفة التاريخ من وجهة نظر إسلامية.

وقد افلح باقر الصدر في ربط المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الإسلامية برابط فكري متين يعتمد الأدلة العقلية والبحث النظري المجرد العميق والنص الإسلامي الأصيل المتمثل بالكتاب والسنة(٥)، كما حاول باقر الصدر أن يربط بين المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفلسفة التاريخ بوصفها أحد ركائز النظرية الاسلامية الشاملة وأحد الارضيات الرصينة التي تسعى هذه المذاهب إلى تحقيق اهدافها من خلال ابعاده ومروراً به بوصفها تمثل بعداً اساسياً لكل مشروع حضاري إذ عَدَ الصدر أنَّ كلَّ مشروع من هذا النوع ناقص إذا ما نقصت الرؤية والوعي التاريخي فيه.

وأَدرك باقر الصدر ضرورة وضع الفكر الاسلامي بضمنه التاريخي في موقعه اللائق، في الفكر المعاصر ضرورة انعتاقه من كلِّ الأفكار الغربية الأخرى. ولا يمكن ان يتحقق ذلك –لاسيما على المستوى التاريخي– إلا بعد القيام بثورة وانتفاضة على جميع المفاهيم السائدة ومحاولة تشخيص الاضطراب والتشويه بكلِّ عناصره وأنواعه الذي اصاب ويصيب الفكر الاسلامي التاريخي المعاصر عن طريق مواقف نقدية تبين حقائقه وسننه وتحاول أَن تقعدها على اساس النصوص الدينية من جهة والواقع التاريخي من جهة أَخرى وكذلك لتبيين علاقة الامة بالتاريخ على مختلف المستويات ومحاولة استخلاص الموروثات الفكرية الأخرى واخضاعها إلى ميزان الأفكار الإسلامية الأصيلة وصهر الجيد منها في بوتقة الفكر الإسلامي العظيم(٦).

ويمكن تلخيص هذا الموقف النقدي الثوري في عدّة إجراءات وهي:

تحليل التكوين النظري الذي انتج انموذج الحضارة الغربية والذي يستنتج عدم صلاحيته؛ لأنّه يكون انموذجاً كونياً.

عقد موازنة بين تاريخ الأمة الإسلامية وتاريخ الغرب.

تأكيد وجود اختلاف في مسار حركة تاريخ كل شعب من حيث العوامل الاجتماعية والاقتصادية والقيمية والدينية وبهذا تختلف حركة كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى.

تأسيس رؤية جديدة تعتمد مبدأ الاصالة وآفاق المعاصرة معاً في النظر للتاريخ من خلال الالتحام مع العقيدة أي (التكامل) لا الانفصال عن العقيدة واجتزاء ما يوافق المصلحة والاهواء في بناء ايدلوجية ذاتية.

محاولة استغلال الفكر والمراجعة المستمرة للتصورات السائدة عن الحضارة من خلال (الفكر والاجتهاد) وغيرها من الاجراءات.

إنَّ هذا الاهتمام النظري يقابله اهتمام عملي تطبيقي يدرس القضايا المطروحة في الواقع الاسلامي في ضوء ما توصل إليه من الجوانب النظرية والفلسفية محاولاً الافادة منها بإعطاء تحليل شامل ورائع لا تجزيئي – كما تفعله التحليلات – المبعثرة عند علماء الغرب في قضايا العالم في ضوء فلسفاتهم التاريخية كحركة المجتمعات البشرية عبر التاريخ للوصول إلى معناها.

أَبرز باقر الصدر في الكثير من نظرياته الطابع التاريخي الفلسفي؛ لأَنَّهُ يعد التاريخ العمود الفقري لافكاره والاصالة التي تتبع منها معاصرة غير بديلة لافكار الآخرين ولاسيما الغربية منها.

إنَّ فلسفة التاريخ الاسلامية عند باقر الصدر تُعَبر عن حركة الأمة منذ زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) وإلى الظهور المقدس للإمام الحجة (عج)، وإنَّ هذه الرؤية الاسلامية وهذه الحركة تعتمد على اسس منهجية لا يمكن لاي مسلم – بوصفه مسلماً – إن يتجاوزها مثل الأمة وعلاقتها المقدسة بالرسالة ووعد الله المؤمنين انتصار الحقِّ على الباطل.

المبحث الثاني: التأصيل السنني للتأريخ

المطلب الأول: فكرة السنن التأريخية

لم يأت الشهيد الصدر لفلسفة التأريخ من زاوية تقليدية كما أتخذها غيره وانما جاء بشيء لم تألفه أذهان الذين مارسوا العمل التأريخي، وهذا الشيء هو محاولة الدمج والأخذ بنظر الاعتبار كل العوامل المؤثرة في فلسفة التأريخ من مجتمع مطبعية وإنسان واعطائها حصة في البحث والتقويم وإذا تجاوز الاشكالات المعرفية في الفكر الغربي من الفصل بين التفكير العلمي والتفكير اللاهوائي. وذلك بطرحهُ فكرة (سنن الله في الكون) التي تتحكم بالكون وحركة التأريخ، ولكنَّه أَوضح أن هذه السنن التي وضعها الله لتسيير الكون لا تجعل من الانسان اسيراً لها وبعبارة اخرى.

يمكننا القول إنَّ علاقة الانسان بالسنن وواضع السنن (الله جل وعلا) ليست علاقة جبرية (استلابية) قائمة على مبدأ صدور المعلول من العلة بنحو طبيعي اضطراري من غير تدخل أو إرادة منه بل إنَّها علاقة قائمة على وجود فسحة من الحرية لارادة الانسان في فهم سنن التأريخ أو سنن الله في الكون

والأفادة منها وفكرة السنن التأريخية أو سنن الله التي استلمها الصدر لها أصل قرآني أصيل فالقرآن الكريم يعد فاتحاً في هذا المجال إذ أَشار بصراحة إلى وجود قوانين وسنن تحكم سير التأريخ .

قائلاً في هذا الصدد: (لقد سجل القرآن الكريم فتحاً كبيراً في تناول مفهوم السنن على الساحة التأريخية؛ لأَن القرآن في حدود علمنا هو أول كتاب عرفهُ الانسان كشف عن هذا المفهوم وقاوم النظرة العفوية في تفسير حوادث التأريخ وفهم العقل البشري إلا أنّ هذه الساحة لها سنن وقوانين وعليه أن يكتشف هذه السنن، لكي يتحكم فيها وإلا تحكمت فيه)(٧)، فالسنة ذكرت مرات عديدة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ((سنة الله في الذين خلوا من قبل وَكَانَ أمر الله قدراً مقدوراً))(٨)، وقوله تعالى: ((سنة من أَرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا))(٩)

وهذا الأصطلاح القرآني هو عينة المدلول اللغوي للفظة (سنة) فهذه السنن التأريخية هي تطبيق لمنهج باقر الصدر في التفسير الترابطي الموضوعي لمحتوى القرآن الكريم ونصوصه المقدسة .

وأعلن باقر الصدر بموضوع أمام الأمة – نخبة وافراداً عن منهجه الجديد في التفسير الذي أسماه (التفسير التوحيدي) أو (الموضوعي) وجعله بديلاً صالحاً أو مكملاً ناجحاً عن التفسير الذي أعدّه سائداً لقرون عدّة وهو (التفسير التجزيئي)؛ ويمكننا أن ننقل نصاً له يبين فيه هذه الحقيقة إذن فأول أوجه الأختلاف الرئيسي يبين الاتجاه التجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه، وإنما وظيفة (التفسير الموضوعي) دائما وفي كلّ عصر أَن يحمل لكلّ تراث البشرية الذي عاشه، أفكار عصره والمقولات التي تعلمها في تجربته ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه من خلال مجموعة آياته الشريفة، أذن فهنا يلتحم القرآن مع الواقع والحياة، لأنَّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن؛ لا انَّه يبدأ من القرآن وينتهي إلى القرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن القيم بوصفه المصدر الذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع ومن هنا تبقى للقرآن قدرته على العطاء بنحو دائم لأنَّه لا ينفذ (١٠).

وتسربت هذه الفكرة إلى الأَوساط العلمية، لا سيما تلامذته الذين استلهموها وحاولوا هضمها وتطبيقها في كتاباتهم، وهذا ما نراه في كتاب محمد باقر الحكيم اذ يذكر في (علوم القرآن) ما نصه: (فالتفسير الموضوعي إذن يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم من مواضيع متعددة أو في موضع واحد وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين ومن أجل أن يتضح المراد من التفسير الموضوعي يحسن بنا أن نفهم مصطلح الموضوعية كما شرحه استاذنا)(١١)، أي الصدر.

وهذا الأصطلاح القرآني هو عينة المدلول اللغوي للفظة (سنة) فهذه السنن التأريخية هي تطبيق لمنهج باقر الصدر في التفسير الترابطي الموضوعي لمحتوى القرآن الكريم ونصوصه المقدسة. فقد أعلن السيد محمد باقر الصدر بموضوع أمام الأمة – نخبة وافراداً عن منهجه الجديد في التفسير الذي سماه التفسير

التوحيدي أو الموضوعي وجعله بديلا صالحا أو مكملا ناجحا عن التفسير الذي عدّه سائداً لقرون عدّة وهو التفسير التجزيئي ويمكننا أن ننقل نصا له يبين فيه هذه الحقيقة بما لا مزيد عليه: أذن فأول أوجه الأختلاف الرئيسي يبين الاتجاه المتجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه وأنما وظيفة التفسير الموضوعي دائما وفي كلّ مرحلة عمران يحصل كلّ تراث البشرية الذي عاشه، يحمل أفكار عصره ويحمل المقولات التي تعلمها في تجربته ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيله بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه ان يبينه من خلال مجموعة آياته الشريفة أذن يفهمنا يلتحم القرآن مع الواقع ومع الحياة التفسير يبدأ من الواقع ينتهي إلى القرآن؛ لأنَّه يبدأ من القران وينتهي إلى القرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن القيم بوصفه المصدر الذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك (١٢). وهذه الفكره تسربت إلى الأَوساط العلمية، لا سيما تلامذته الذين حاولوا هضمها وتطبيقها في كتاباتهم وهذا ما نراه في كتاب السيد محمد باقر الحكيم إذ يذكر في كتابه (علوم القرآن) ما نصه: فالتفسير الموضوعي إذن يقوم على اساس ودراسة موضوعات معينة يتعرض لها القرآن الكريم من مواضيع متعددة أو من موضوع واحد؛ من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين ومن أجل أن يتضح المراد من التفسير الموضوعي(١٣).

إلى هذا يحسن بنا أن نفهم مصطلح الموضوعية كما شرحه استاذنا الشهيد باقر الصدر.

المطلب الثاني: اساليب السنن التأريخية وخصائصها

لقد كشف باقر الصدر هذه السنن التأريخية ذات المحتوى القرآني عبر منهجه الموضوعي وحدد أساليبها واشكالها وفصائحها وسماتها وميدانها على الساحة التأريخية وحدد ثلاث مستويات لأَساليب تلك السنن(١٤) وهي:

١- المستوى الكلي وقد بين هذه الفكرة في قوله تعالى: ((ولكلِّ أمة أجل فأذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) (١٥)

٢- مستوى المصاديق وبيان ذلك في قوله تعالى ((إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))(١٦)

٣- مستوى الحث على التأمل في أحداث التأريخ ويتضح في قوله تعالى: ((أَفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ....))(١٧). ولم يقف باقر الصدر عند هذا الحد بل إنَّه بين خصائص تلك السنن ومنها (الاطراد والربانية والبشرية) بمعنى أنَّ هذه السنن تتسم بالعلمية إلاَّ بعض الاستثنائات فهي تخضع لبعد الإلهي ولكن ليس على غرار ما تعتقد به الكنيسة في العصور الوسطى إذ أنَّهم ربطوا الأحداث بالسماء مباشرة لا كما تعتقد به الوضعية الاوربية المحدثة أذ أنهم خضعوا كلّ التأريخ للواقع الانساني بعدّه جهه

فوقية حاكمة للتأريخ فطرح باقر الصدر نظرة جديدة للتأريخ تعتمد ربط الحوادث مع بعضها البعض ثم ربط هذه الحوادث بالسماء وفق عنصرين يفسران الحدث التأريخي هما:

١- العنصر الإلهي

٢- العنصر البشري

المطلب الثالث: أَشكال سنن التاريخ وظواهرها

تناول باقر الصدر أشكال سنن التأريخ فحدد شكلين يعدان قوانين صارمة حاكمة هما شكل القضية الشرطية وشكل القضية الفعلية الناجزة غير أنّ الشكل الثالث هو شكل القضية الاتجاهية لا يعد قانوناً صارماً بل يمكن التخلي عنه ولو لمدة معينة كا أن لهذه السنن التأريخية ظواهراً تشابه الظواهرالعلمية وهي الفاعل والهدف والموج (١٨)

وهذه الأشكال الثلاثة تميز الظاهرة التأريخية عن غيرها من الظوهر التي قد تحوي ظهارة الفعل أو الفاعل فقط الذي يعبر عن وجود الفعل ولكن الغاية والهدف هي من سمات الظاهرة التأريخية التي تحتاج للحوج وهي الأرضية التي تحقق وجوده الفعلي فالموج بنظر باقر الصدر هو المجتمع الذي ينفصل عن الفرد فلكلّ منها كتاب وحساب كما أشار القرآن الكريم بقوله: ((ولكلّ أمة أجل))(١٩)، فالفرد لا يذوب في المجتمع كما تصور (هيجل) ويصبح كالعملاق، فضلاً عن ذلك فرق باقر الصدر بين الحوادث التأريخية السردية الحكائية في التأريخ والحوادث التي تخضع لسنن التأريخ على الساحة التأريخية فمثلاً مقتل الخليفة الثالث وانتصار المسلمين في بدر وخسارتهم في أحد هذه الحوادث تخضع لسنن التأريخ ومدى استيعاب المسلمين لتلك القوانين وحاكميتها على التأريخ وحركته.

إنّ حركة التأريخ حركة غائية مربوطة بهدف وليست سببية فقط أي أنَّها حركة مشدودة إلى المستقبل فالمستقبل هو المحرك لنشاط التأريخ والمستقبل معدوم فعلاً وانّما يتحرك من خلال الوجود الذهني فالوجود الذهني أذا هو الحافز والمحرك والدافع لحركة التأريخ في الوجود الذهني يمتزج الفكر والارادة وبامتزاج الفكر والارادة تتحقق فاعلية المستقبل وتحريكه للنشاط التأريخي على الساحة الاجتماعية.

فالعلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان –الفكرة والارادة– والبناء القومي والتأريخي للمجتمع هي علاقة "سببية" أي سبب بمسبب فكلّ تغير في بناء القوافي والتأريخي للمجتمع مرتبط بتغيير المحتوى الداخلي .

المبحث الثالث: نقد الطرح الغربي

لابَّد لكلَّ شخص يؤسس أساساً أو يبني بناءً فكرياً منهجياً أو يكشف كياناً ومنظومة فكرية خاصة أو عامة أَن يحيط خبراً بما يقابلها أو يضادها وأن ينفتح على الأفكار الأخرى المرتبطة بالموضوع نفسه ويدرسها جيداً وينقب طويلاً عن حسناتها ومساوئها وينقدها نقداً موضوعياً محايداً صادقاً ثم يبدأ بطروحته ويكشف عن أوراق نظريته وهذا ما سنعمله في هذا المبحث من نقد للاتجاهين الرئيسين في تفسير التاريخ وهما الاتجاه الكنيسي والاتجاه الأَوربي الغربي الحديث ثم نردفها بالنظرة المقدمة الصحيحة التي طرحها باقر الصدر.

المطلب الأول: نقد المنهج الكنيسي في العصور الوسطى

أنَّ الفكر اللاهوتي الغربي أو ما يسميه السيد الشهيد الصدر بـ(المسيحية الرسمية) (٢٠)، في العصور الوسطى طرح نفسه بوصفه منظومة فكرية واحدة فسر فيها الكون والحياة ونظر إلى الحياة والعقل والتاريخ نظرة واحدة فلم يعط العقل مثلاً أي قيمة بازاء ما كان يؤمن به من أفكار كنيسية إذ اعلن منذ البدء أنَّ الرب مع الكنيسة(٢١)، وان ما تقرره الكنيسة هو الحق والهدف ولا يمكن أنَّ يغير أو يخالف مع العلم أنَّ مدار أَفكار الكنيسة ونظراتها لتفسير الكون والحياة هو كتابهم المقدس الذي يحوي الاعاجيب والخرافات والتفاهات بما لا مزيد عليه إذ أنَّه يعد الشعوب مثلا – عدا بني اسرائيل كلّها حيوانات وكلاب وهذا يُنم عن "العقدة" الكبيرة في نفوس الكنيسين تجاه الانسان وعدم احترامهم لهويته ولعقله. ويستغرق النقاش وقتاً وجهداً طويلاً من هؤلاء في سبيل معرفة عدد الملائكة التي يمكن أنّ تقف على رأس أبرة وتعد هذه المسالة من المسائل المعقدة والمهمة جداً، في الفكر الكنيسي التي يجب أَن تحل؛ لذلك عندما حاول ثلة من العلماء وذوو العقول النيرة أَن يخرقوا هذا الحاجز الحديدي للأَفكار الكنيسية ويقدموا اختراعاتهم العلمية وأَفكارهم الموضوعية للمجتمع عاقبتهم الكنيسة على ذلك ولقوا من العذاب والتنكيل والفتك والحرق ما لا يوصف لا لشيء سوى العلمية التي تميزت بها أَفكارهم ونظراتهم للحياة. كما إنّنا نرى مثالاً ثانياً على ذلك هو محاربتهم للغريزة التي جعلوا التكلم بها جريمة لا يمكن أن تغتفر وطالبوا مناصريهم بمحاربتها وكبتها والقضاء عليها. مما ولدوا مضاعفات كثيرة تنبوء عن الحصر. وقد انجروا في انحرافاتهم الفكرية والنظرية إلى كلّ ابعاد المعرفة لها هي نظرتهم للتاريخ وكيفية تفسيرهم له. إذ أنَّهم آمنوا كمبدأ اولي وشيء اساسي لتفسير التاريخ "بفكرة الخلاص" التي خلاصتها إنَّ الانسان منذ خطيئة آدم وإلى المسيحية العالم كلّه يسعى إلى الخلاص وهذا الخلاص موجود في الديانة المسيحية إذ يعدونهُ المخلص الأَكبر للانسان. ولا يمكن للانسان المؤمن بالمسيحية. أَنَّ يسعى في هذا الطريق – طريق الخلاص – الا أَن يتخطى التاريخ ويتعالى عليه ويرفض الواقع. الذي يعيشه إذ أنَّ واقع الانسان ما هو إلّا افعال إلهية(٢٢). فكلّ حادثة تاريخية ترتبط مباشرة بالسماء وليس لها أي علاقة بالحوادث الأُخرى (٢٣). ويسعى الكنيسيون إلى جعل كلّ حادثة مرتبطة بالله مباشرة مما يجعلها تفلت من سيطرة الانسان وتجعله مكتوف اليدين امامها فلا يستطيع أن يؤثر فيها أو يجري بعض التغير هذا ما وجدناه في جعبة الكنيسين من أفكار وطروحات ولقد تنبه لها باقر الصدر وهضمها جيداً وعرف مواقع الخلل فيها مما جعله يوجه لها ضربات قاسية اخلت بكيانها وهزت كبريائها. ويمكننا أن تلخص هذه الردود بالنقاط الآتيه:

١– عَدّ باقر الصدر نظرة الكنيسين إلى العقل نظرة قاصرة وظالمة فهم كبلوه بأفكار وآراء غريبة عليه املتها عليهم كتَبهم وقساوستهم قال إذ قال: (أما في المسيحية فقد كان العقل يوضع فى الاغلال ولم يتح للعقل أن يسترد سلطانه إلا حين رفض المسيحية وما كان في مكانته ان يسترد سلطانه دون أن يرفضها.

فأن ما يتصل بعالم الالوهية من الكنيسة الغاز لا يمكن ان يؤمن بها انسان يحترم عقله ومع ذلك فقد كانت الكنيسة تفرضها وتفرض الايمان بها) (٢٤).

٢- كما أَدان نظرتهم للغريزة وعَدَّها قاصرة. وعدّ الاسلام هو الموازن الحقيقي للرغبات والغريزة في حياة الانسان.

إذ يرى أنّ الإسلام يعترف بثنائية الانسان الروحية والمادية الذي غيبته المسيحية الرسمية وجعلته روحياً فقط. قال في ذلك: (ومن هنا كان موقف الإسلام من الغرائز الإنسانية موقفاً ايجابياً فلم يحاربها وإنّما اعترف بها. وهيأ للإنسان المسلم مجال التعبير عنها. بقوله تعالى: ((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجدٍ. وكلوا واشربوا ولا تسرفوا))(٢٥)، ولكن الإسلام إذ يعترف بالغرائز لا يدعو إلى مادية صماء ولا يبيح للإنسان أن يستغرق في تلبية مطالب الغرائز بحيث يغدوا حيواناً لا يعني بما وراء المتاع الحسي من اهداف الانسان العليا.. بل يدعو إلى المتاع المادي بقدر. ويدعوا المسلم إلى أنَّ يوازن بين الروحي والمادي في حياته)(٢٦).

٣- إنّ الجانب التاريخي صحح نظر الكنيسي إلى الحوادث التاريخية بوصفها حوادث منفصلة وكل واحد منها على انفصال ترتبط بالله سبحانه اذ قوم هذه النظرة بطرح نظرة مفادها أنّ الحوادث ترتبط بعضها مع بعض بروابط وعلاقات وشيجة مبنية على اسس علمية وطبيعية ومجموع هذه الحوادث بعلاقاتها ترتبط بالمبدأ الأَعلى الله سبحانه الذي سبب الأسباب وخلق السنن الكونية ومن بينها السنن التاريخية التي بواسطتها تفسر التاريخ وتربط بين مجريات احداثه. وضرب لذلك مثالاً بالمطر قال (القرآن الكريم لا يسبغ الطابع الغيبي على الحادثة بالذات. لا ينتزع الحادثة التاريخية من سياقها ليربطها مباشرة بالسماء لا يطرح صلة الحادثة بالسماء كبديل عن أَوجه الارتباط والعلاقات والأسباب والمسببات على هذه الساحة التاريخية، بل انه يربط السنة التاريخية بالله ويربط أَوجه العلاقات والارتباطات بالله فهو يقرر أولاً ويؤمن بوجود روابط وعلاقات بين الحوادث التاريخية الا إنّ هذه الروابط والعلاقات بين الحوادث التاريخية هي في الحقيقة تعبير عن حكمة الله سبحانه وتعالى وحسن تقديره وبنائه التكويني للساحة التاريخية) (٢٧)، ثم يردف بمثال المطر قائلاً: (وقد يأتي أنسان فيفسر ظاهرة المطر التي هي ظاهرة طبيعية فيقول أنَّ المطر نزل بارادة من الله سبحانه وتعالى ويجعل هذه الارادة بديلاً عن الأَسباب الطبيعية التي نجم عنها نزول المطر. فكأن المطر حادثة لا علاقة لها ولا سبب لها. وانما هي حادثة مفردة ترتبط مباشرة بالله سبحانه وتعالى بمعزل عن تيار الحوادث. هذا النوع من الكلام يتعارض مع التفسير العلمي لظاهرة المطر. لكن اذا جاء شخص وقال أنّ الظاهرة لها اسبابها وعلاقاتها وإنّها مرتبطة بالدورة الطبيعية للماء مثالاً ... فينزل المطر الا إنَّ هذا التسلسل السببي المتقن هذه العلاقات المتشابكة بين هذه الظواهر الطبيعية هي تعبير عن حكمة الله وتدبيره وحسن رعايته. فمثل هذا الكلام لا يتعارض مع الطابع العلمي والتفسير الموضوعي لظاهرة المطر. لأننا ربطنا هنا السنة بالله سبحانه وتعالى مع عزلها عن بقية الحوادث وقطع ارتباطها مع مؤشراتها واسبابها)(٢٨). ويرى باقر الصدر أنَّ هذه الأسباب هي التي دعت

الانسان الأَوربي الغربي إلى ثورة على الكنيسة ومفاهيمها وأَسسها ومن ثم رفضها إلى غير رجعة في نهاية المطاف.

المطلب الثاني: نقد المنهج الوضعي في أوربا الحديثة

لقد حصلت انقلابات فكرية هائلة في القرن السادس عشر والسابع عشر وهو ما يسمى بـ(عصر النهضة الأَوربية) والقرن الثامن عشر وهو ما يسمى بـ(عصر التنوير) وكان سبب هذا التغير هو التطورات العلمية والتكنلوجية والاجتماعية الكبيرة التي حصلت في مجتمعات أوربا وكان من مظاهر هذا التغير الجذري هو رفض الدين في الحياة رفضاً باتاً وعومل كأحد اسباب التأخر عند المجتمعات(٢٩).

وكانت هذه بمنزلة ردة فعل عنيفة لما قام به أَصحاب الدين في العصر الكنيسي من محاكم التفتيش والفتك بالعلم وأهله.

ثم إنّ هذه خطوة بدأت بمشوار طويل، لاصحاب عصر النهضة والتنوير إذ انهم أخذوا على عاتقهم بعد أن تحرروا من قبضة الدين مفاهيم عدّة حاولوا أنّ يشيعوها ويصبغوا فيها عصرهم ومن هذه المفاهيم هو(٣٠)، ايمانهم المطلق بالعقل(٣١). وبقدرة الإنسان العقلية على الوصول إلى أَسرار الوجود وغياهب الكون واطمئنانهم إلى نتائجه في بحوثهم ودراساتهم؛ وكذلك ايمانهم بفكرة التقدم وإن على الإنسان ان يكون تقدمياً في ميادين الاجتماع والثقافة والاقتصاد... الخ.

وان كان قد طرء على فكرة التقدم بعض التغير أو الرفض وجدوا هذه الفكرة تجر الحروب والخراب والدمار لمجتمعاتهم. كذلك امنوا بفكرة الفصل بين التاريخ واللاهوت فالتاريخ احداث أَرضية لا صلة للسماء بها وانما الانسان هو الذي يكتب قيمه العليا في احداث التاريخ وملابساته(٣٢) وهو ما يصطلح عليه بـ(التاريخانية). هذه هي الملامح الاساسية للتفكير الأَوربي الغربي الذي ساد لقرنين أو ثلاث من الزمن نلاحظ من خلال مطالعتنا لما كتبه باقر الصدر وما جادت به قريحته أنَّه تنبه إلى أساس الخطأ في فلسفة هذا العصر بوجه عام وفلسفتهم للتاريخ بوجه خاص ولاسيما فلسفات هيجل وماركس والفلسفات المعاصرة كالوجودية وغيرها.

إذ أَشار إلى أنَّ هذه الفلسفة بوجه العموم تتجه إلى الأرض فهي مادية بكلّ تفاصيلها وجزئياتها. تقطع كل صلة لها بالسماء أو الأَهوت وقد انجزت ماديتها الى التاريخ وكيفية التعامل معه ويمكننا من خلال النقاط الآتية أَن نبين اهم النقود التي وجهها فيلسوفنا باقر الصدر إليها.

١- نفي علاقة التأريخ بالمثل الأَعلى (الله):

عَدّ باقر الصدر (التاريخانية) افكاراً مادية تجعل من الإنسان المحور في الأَحداث الاجتماعية والتاريخية ولا تعطي قيمة للأسباب الغيبية وهذا يؤدي بالنتيجة إلى قلب النسبي وتحويله إلى مطلق ومن بين هذه الأَفكار المادية هي مثالية هيجل اذ نراه يعمم مفاهيم ويتسرَع في هذا التعميم فيعد العقل الكوني هو الذي يسير العالم ويطلق مقولته المشهورة (كلّ واقعي معقول وكل معقول واقعي)، وعَدّ التاريخ هو المرجعية لنفسه مما حدا به إلى اختيار أحد خيارين الأَول يتمثل بفتح التأريخ وجعله مفتوحاً إلى ما لا نهاية،

والثاني اختيار ختم معين له مما حدا بهِ إلى اختيار الخيار الثاني وهو ختم التاريخ وعلى يد نابليون الذي عَدّهُ الروح على جواد وهذه نظرة تكذبها الوقائع والأحداث كما إنَّ هذه النظرة جعلته يقدس الحوادث التاريخية ويستسلم لها وهذا ادى إلى التشويش في أي معيارية تاريخية أما عن المثالية فقد رأى باقر الصدر أنّ المثالية مشابهة تماماً للمادية التأريخية(٣٣) إذ الاثنان معاً نبعاً من نفس النظرة وهي فوقانية الإنسان وفعاليته على التاريخ فالانسان ظاهرة تأريخية من نظر باقر الصدر فكيف يمكن أنَّ يتعالى على التاريخ وهو جزء منه لقد نظر هؤلاء إلى مستقبل ضيق محدود ولم يوسعوا في آفاقهم ونظرتهم المستقبلية لأنَّهم اتخذوا مثلاً منخفضة، أما الإسلام في نظر باقر الصدر فيعد موازناً موضوعياً إذ أَعطى للمادة حقها وللروحانية حقها في تعاطيه للتاريخ(٣٤)، فكلّ الأَحداث التاريخية التي تحصل بعلم الإنسان وارادته، ولكن ضمن قوانين وسنن، وهذه السنن من صنع الله ومن كلمته وسعة عدله وهي بطبيعة الحال لا تتنافى مع ارادة الإنسان أو تجرنا إلى القول بجبرية السنن أو التاريخ لأَن الإنسان داخل ضمن معادلة تحقيق هذه السنة أو تلك. أما عن المثالية فقد نقدها باقر الصدر وذلك بتقسيم المثل الأَعلى على ثلاثة هي:

١- المثل الأَعلى الواقعي

٢- المثل الأَعلى التكراري

٣- المثل المنخفضة

والنوعان الأَولان من المثل الأَعلى هما اللذان حَلا في فكر هؤلاء من غير النظر إلى مسبب الأَسباب الله تعالى الذي ينظر له الاسلام بأنّه المثل المطلق(٣٥) الذي لواحتذاه الانسان لتوسعت نظريته المستقبلية وانفتحت امامه آمال الحياة ونرى أَنَّ باقر الصدر يتفق معهم بالهدف الذي هو تحرير الانسان واكتسابه للحرية ولكنَّه يختلف معهم بالآلية لأَنّهم نظروا نظرة قصور مستقبلية باستعمالهم للمثل المنخفضة(٣٦)، بينما استعمل باقر الصدر المَثَل الأَعلى وهو "الله تعالى"، وَعَدّ حرية الإنسان في عبادة "الله"، لا من تركه لمُثل الكنسية(٣٧).

وبعد الاطلاع والبحث في كلمات الفلاسفة الوضعيين وكتبهم عثرنا على مصادر تخص النموذج المسيحي والوضعي. ومن ضمنها مقولة لماركس مضمونها أن ماركس ليس أَكثر ماركسياً من غيره الماركسين(٣٨)، وهي إن دلت على شيء فانما تدل على أَنَّه ينظر ولا يطبق إذ عَدَ نفسه ليس ماركسياً اكثر من غيره مما يعني أنّه غير واثق من تطبيقه لما يؤمن به وكذلك رجال الكنيسة في العصور الوسطى فهم يعملون بما لم تأمرهم به السماء مما جعل مقرراتهم الانسانية مطبوعة بطابع ديني وهناك ظن إنَّ هذه المقررات هي مقررات علمية لأَنها انسانية وهذا ما يميل إليه بعض الباحثين ولكنّه في التدقيق نراها على العكس من ذلك تماماً لأنّنا لو راجعنا تاريخهم لرأينا مدى محاربتهم للنظريات العلمية وكيفية محاربتهم لاصحابها مما يعني أَنّها مقررات مصلحية تنتج من اهواء وافكار اصحابها (رجال الدين) الكنيسي الخاصة والشخصية أمّا الاسلام فهو تنظير وتطبيق اذ نجد الآيات الكثيرة التي تربط

العلم بالعمل والتنظير بالتطبيق، امثال قوله تعالى: ((يا أَيّها الذين آمنوا لا تقولوا مالاتفعلون كبر مقتاً عند الله أَنَّ تقولوا ما لا تفعلون)) (٣٩). وعشرات الآيات التي تربط بين ((الذين امنوا)) و((عملو الصالحات)) ولقد اكتشف باقر الصدر هذه الحقيقة القرآنية وتجاوز مشكلة التنظير والتطبيق وسمى هذا الاكتشاف بـ(منطقة الفراغ) إذ ربط بين الثوابت والمتغيرات وبين التنظير والتطبيق فالشريعة تمتلك تنظيماً هائلاً يستطيع ان يعطي متغيرات للواقع.

المطلب الثالث: فلسفة الانتظار والنموذج الحضاري الأَمثل

إنّ البشرية بأَجمعها تأمل وتنتظر أَن تصل إلى مستقبل هادئ زاهر خال من كلّ أَنواع الصراعات السياسية والفوضى الاجتماعية والتضخمات الاقتصادية والمجاعات والاستئصال العرقي والطائفي وأساليب الاستغلال والاستعمار وخداع الناس وقتلهم على اتفه الأشياء. إنَّ هذا الانتظار ليس حلماً وخيالاً محضاً أو نوعاً من احلام اليقظة بل حقيقة ثابتة في أَذهان جميع الامم والمجتمعات.

ونحن نحاول فيما يلي أَن نعطي فكرة موجزة وواضحة عن حقيقة الانتظار وأَساليبه ثم عن طبيعة هذا المستقبل المشرق .

الانتظار مفهوم موجه:- لابدَّ لنا إذا أَردنا أن نفهم الانتظار فهما واعيا وصحيحا أَن نقسمه على قسمين. وهذا التقسيم في الحقيقة نابع من طبيعة تعامل الناس مع هذا المفهوم وكيفية استعمالهم له بإزاء الواقع وصولا للطموح .

الانتظار الموجه.

الانتظار السلبي.

الانتظار الموجه: وهو الانتظار غير النابع من الزخم العاطفي أو الحماسة الدينية والفكرية السريعة الزوال غير ثابتة الاركان. أَو احلام اليقظة أو خيالات الفكر الواسعة(٤٠) أو نتيجة ازمة نفسية أَو فكرية حادة يتعرض لها الانسان في حياته نتيجة للضغوط الحياتية واليومية المستمرة التي تجعله يبتعد عن الحياة المعاشة وينطلق مع افكاره وآماله في خلق مستقبل يخلو من كلّ هذه المنغصات المتلاحقة عليه ويعني بحسب ما بينه باقر الصدر بالآيات والروايات التي سيرها باقر الصدر وغاص بأَعماقها مجموعة أفكار ورؤى واعتقادات في حقيقة المستقبل للبشرية نابعة من تأطير عقائدي وديني مدعوم بالنصوص(٤١) .

فلو تتبعنا الآيات والروايات المختصة في هذا الشأن لرأيناها كثيرة فمنها ما وردَّ عن الإمام التقي أنّه قال "إنّ القائم منا هو المهدي الذي يجب أَن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره. وهو الثالث من ولدي" (٤٢).

فهذا الحديث ونظائره يدل على أنَّ الانتظار في عهد الإمام واجب إلى أن يظهر الامام وظهوره يعني المستقبل السعيد للبشرية وتحقيق جميع الأَمال لهذا المستقبل وعن أمير المؤمنين "افضل العبادة الصبر وانتظار الفرج" (٤٣).

فهذا الحديث يجعل الانتظار من أفضل العبادات والعبادة كما نعلم في الاسلام هي من امهات الأَفعال وعظائم امور التشريع وعن الصادق (ع) "من مات منكم وهو منتظر لهذا الأَمر كمن هو مع القائم في فسطاطه"(٤٤)، وهذا يعني أنَّ الانتظار بمنزلة صنع لمستقبل الانسانية واسهاماً فاعلاً في ذلك فالقيام مع صاحب العصر والزمان في فسطاطه يعني مشاركة في مراكز القرار لمستقبل البشرية واسهاما في مناهج التخطيط له وكيفية العيش فيه وعن الصادق (ع) "ليعدن احدكم لخروج القائم ولو سهما فان الله تعالى اذا علم ذلك في نيته رجوت لان يُنسىء في عمره حتى يدركه" (٤٥).

وهذا الحديث يشير إلى مفهوم الانتظار الايجابي الموجه الذي يعني الاستعداد لصنع مستقبل البشرية النير المأمول ويجب أَن نفهم أَنَّ الانتظار الموجه مبني على حقيقة السنن التاريخية وعلى أنّ المستقبل المزدهر يجري على وفق هذه السنن، السنة التاريخية مهمة للغاية لابد من تحقيقها. وللإنسان في حقيقة الأمر دور في هذا، وهو يقوم بوظيفته الاجتماعية والدينية والفكرية كطرح المفاهيم الصحيحة ومحاولة خلق مجتمع مثالي تسوده الحرية والعدالة ونبذ كلّ انواع الظلم والاضطهاد والتمييز القائم على غير الكفاية من قبل الانظمة الفاسدة والطواغيت وحكام الجور. ومحاولة ابداء النصح والتعليم الاجتماعي والسياسي اللازمين لبناء مجتمع سليم ونصرة المظلومين في ارجاء المعمورة اينما حلوا وأرتحلوا وفي الحقيقة أنَّ مثل هذا دور وهذه وظيفة لا يمكن أن يتم إلآ بالاقتناع الفكري المسبق بان المستقبل الوردي الموعود ممكن الحصول بل واجب فمن غير هذه القناعات القبلية المسبقة لا يمكن للإنسان التحرك لصناعة مستقبل لايؤمن بوجوده العاجل أو الآجل وهذه القناعة بحسب ما يراه باقر الصدر لا تتم إلآ بالأساليب الدينية القويمة التي بينا جزءاً منها في ما سبق. فضلاً عن شيء مهم آخر يجب التنبه له وهو معالجة ثنائية جدلية يعيشها كلَّ انسان في العالم وهي الهوة السحيقة بين الواقع المعاش والمستقبل المأمول إذ يتعرض كلّ انسان إلى ضغوطات متنوعة. وتناقضات واضحة فيما يعيشه من حياة ويزاوله من أَعمال ويباشره من علاقات مع الآخرين وبين ما يطمح للوصول إليه هو والبشرية من مستقبل موعود يخلو من كل هذه الامور والتعقيدات والكوارث فهذا يعني انه على الانسان أنَّ يفهم فهماً مستنيراً معمقاً العلاقة بين الواقع والمثال إذ أنَّ العلاقة بين هذين المفهومين علاقة من الدقة والخفاء ما يحتاج إلى تأمل طويل وفكر عميق فالعلاقة بينهما هي علاقة السبب بمسببه والعلة بمعلولها. فالواقع ارضية خصبة بكلِّ ما يحمل من هموم وقضايا الطموح المنشود فعلى الإنسان أنْ ينطلق من هذا الواقع ويفيد من كلّ مدخراته وطاقاته لتحقيق هدف البشرية السعيد ومستقبلها الرغيد من كلّ ما سبق نستنتج بحسب مايراهُ باقر الصدر وغيره من علماء الإسلام تحمل كماً هائلاً من التوقعات والاعتقادات بحقيقة ونوع المستقبل البشري الذي ينتصر فيه الإسلام على بقية الديانات في أرجاء الأَرض.

إنَّ من الطبيعي أنْ تكون مسيرة الانسان الكلية الاجتماعية ذات بداية صغيرة ضعيفة ومحدودة ثم تتكامل في مجمل حركتها حتى تصل إلى مرحلة الكمال المطلق المتمثل في دولة الحقّ التي وعدَّ الله سبحانه وتعالى عباده، ولا تعني قضية ظهور الموعود هي مجرد استخلاف؛ لأن هذا الاستخلاف كان من قبل

أَيضاً ((كما استخلف الذين من قبلهم))(٤٦)، لكن القضية هي أَن يُمكن لهم دينهم الذي أرتضى أي يصبح هذا الدين مُتمكن تمكناً كاملاً، ((ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا))(٤٧)، هذا الأمر هو الأَمر الموعود الذي يُعَبر عنه القرآن الكريم بظهور الإسلام على الدين كله.

الانتظار السلبي: وهو انتظار يحمل في حقيقته كلّ الخلفيات الثقافية والمعرفية والنفسية الهزيلة للإنسان الذي يعتقد بها. فهو مفهوم تخلفي رجعي يأخذ بالانسان إلى الوراء ويجره إلى التنازع والتباغظ وقتل الانسان لاخيه الانسان واستئصاله من الوجود وهذا يعني أَنَّ معتقد هذا المفهوم هو انسان تعطيلي(٤٨)، فوضوي خامل يريد أن يجعل الحياة نوماً عميقاً عسى ولعل أن يحلم فيهِ احلاماً وردية أو قرمزية أو ينتظر تباشير الصباح الجديد بشمسه التي يرجو منها أَنَّ تدغدغ جسمه البارد الخامل شبه الميت باشعتها الدافئة المعطاء وهيهات منه ذلك.

النموذج الحضاري الامثل:- يرى باقر الصدر أنَّ المستقبل المنشود السعيد أو الانموذج الحضاري للبشرية الذي عرفناه قبل قليل كيفيتة وأَساليب انتظاره وأَنواع هذا الانتظار. لا يمكن أَن يتم الا عبر مراحل عدّة قطعتها وتقطعها البشرية بحسب السنن الإلهية وهي بحسب المفهوم القرآني الذي سيشرحه الصدر على ثلاث مراحل.

مرحلة التوحيد.

مرحلة الاختلاف.

ج- مرحلة التكامل.

مرحلة التوحيد: وهي المرحلة الابتدائية الأولى التي مرت بها البشرية وتعدّتها وهي مرحلة الفطرة والسذاجة وعدم الاختلاف إذ كان الناس أمة واحدة لا تنازع ولا تباغض بينهم وانما مصالح واحدة. إنَّ هذه المدة مدة قصيرة من حياة البشرية الطويلة سرعان ماتبخرت نتيجة طبيعة الانسان وطبيعة تاريخ البشرية الذي يحكم بسننه تطور الأَشياء وتغيرها. اذ إنَّ طبيعة المجموعات البشرية الاولى سرعان ماتضخمت بكلِّ شيء في حاجاتها وتفكيرها وآمالها وانتقلت إلى المرحلة الثانية.

مرحلة الاختلاف: وهي المرحلة الراهنة في حياة البشرية التي تتصارع فيها الأَفكار والنظريات والاهواء والشهوات وبحسب سنن التاريخ وقوانينه من أَجل اثبات نظرة أو تثبيت حكم أو سيطرة جماعة على أخرى(٤٩)، إنَّ هذه المرحلة مرحلة مخاض كبيرة وعسيرة بحسب ما يستقرء باقر الصدر وهي تجري بحسب السنن التاريخية وهذه المرحلة لا تكون كالعضو المقطوع من الجسد بالنسبة للمرحلة السابقة (مرحلة التوحيد)، والمرحلة اللاحقة (مرحلة التكامل) وإنما ترتبط فيهما ارتباطاً عضوياً تلاحميا فهي كما بينا تضخم لمجتمع التوحيد وبداية لمجتمع التكامل. فيمكننا أن نلاحظ كثيراً من الظواهر في مرحلة الاختلاف نلمس فيها بدايات تحول نحو مجتمع المستقبل الخير المزدهر ونحو التقدم والتغير والتطور والتنمية.

ج- مرحلة التكامل: وهي المرحلة التي تصل فيها البشرية إلى نهايتها السعيدة ومستقبلها المنشود وتنعم بالخير والتخلص من الاستغلال والاستعباد(٥٠)، وفي الحقيقة أنّض المستقبل المأمول والنموذج الحضاري الأَمثل يرتبط بالكثير من مفاهيم التاريخ وسننه ومن بين هذه الارتباطات.

المستقبل وفكرة الخلاص

إنَّ المستقبل الذي تنتظره البشرية مرتبطاً بفكرة الخلاص وفكرة الخلاص فكرة قديمة متأصلة في الفكر البشري الديني ناشئة في طبيعة الحياة الاجتماعية القاسية والدموية التي عاشها الإنسان عَبَرَ تاريخه الطويل وقد أكدتها الأديان السماوية ولاسيما الرئيسة منها (اليهودية، المسيحية، الإسلام بالاخص). إمّا الفلسفات المادية كالماركسية وغيرها فقد إشارت إلى فكرة الخلاص وانتهاء كلّ أَنواع الاستلاب ولكن الفرق بين الفكرتين (الخلاص الديني والخلاص المادي الماركسي) هو تعالي الأَول وجعل الخلاص يصدر من التعالي وانخفاض الخلاص في الثانية وجعله ينبع من التاريخ.

المستقبل والتقدم

إنَّ التقدم يرتبط ارتباطاً مهماً بالمستقبل الذي تأمله البشرية، ولكنَّ النظرة إلى التقدم تعلق بحسب الفلسفات المتنوعة فـ(هيجل) مثلا ينظر إلى أنَّ حركة التاريخ تتجه نحو المجهول؛ والسبب في ذلك يرجع إلى عدم تحديد حركة التاريخ من قبل صناعه نفسه اما صانعوا التاريخ فلايعرفون اين يتجه؛ لذلك فهو يتأرجح بين الأَخذ والعطاء والسلب والايجاب. وأَما الصدر فيرى بحسب المعطيات التي يفهمها من النصوص الدينية (قرآن وسنة) أَنَّ التاريخ يتقدم بخطا ثابتة نحو غاية وهدف ينشده اذ ان مدى التحرك التاريخي (لحركة التاريخ) يعتمد معادلة صراع الحقّ والباطل فالتاريخ ساحة لهذا الصراع الذي بدء منذ اللحظة الأَولى التي انطلق فيها التاريخ وتحرك.

وهذا الصراع صراع طويل ومرير وسجال ينتصر فيه الحقّ فينة والباطل فينة أخرى، ولكن النتيجة المحتمة في هذا الصراع وهذه الحركة التاريخية الدانية هو التقدم نحو انتصار الحقّ وخسارة الباطل إلى أن تصل هذه الحركة إلى قمة التقدم المستقبلي والذي ينتصر فيه الحقّ كله على الباطل كلّه قال تعالى: ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق))(٥١).

وبما أنَّ باقر الصدر بنى على الخلافة الإلهية مفهوم التقدم وحتم بحسب السنن التاريخية الإلهية أن تصل إلى النتيجة المعلومة عن طريق الإمام الحجة المنتظر(عج). فان المثالية التي يفترضها للمستقبل السعيد للبشرية والمتمثلة بظهور الموعد(عج) هي مثالية تتخذ من الواقعية منطلقا لها فهي ليست مثالية طوباوية أو خيالية مزعومة كما هو الحال بالنسبة للمثالية المادية التي تتوقع المستقبل السعيد وكأنّه حلم من الأحلام السعيدة أَو خيال من الخيالات الانسانية اللذيذة (٥٢).

الخاتمة:

إنَّ الفلسفة الغربية في رؤية باقر الصدر نابعة اساساً من المادة ومن التعالي على المادة فهي لا تملك رصيداً للمفاهيم الفوقية أو الغيبية ولا تفقه شيئاً منها مما يجعلها تنظر إلى شطر واحد من الحياة وهي

المادة وتتناقل الشطر الآخر الغيب أو الروح فيها وهذه النظرة غير واقعية وقد اثبتت فشلها على الصعيد العملي فنظرياتها تطبق ثم تنهار من الأَساس.

تنبه باقر الصدر إلى عدم امتلاك الفلسفة الغربية مقومات التعالي على التاريخ لأنّها تنطلق من أرضية مادية فقط وقد أعطى البديل المناسب لها المتمثل بالأنموذج الإسلامي الذي يمزج التاريخ بالتعالي عن طريق الإيمان بالله مما يعطي للتاريخ جانبه المتعالي.

وجه باقر الصدر النقد على الفلسفة الوضعية كانتقاده للمادية التاريخية الذي مفاده إنَّ اساس التناقضات الموجودة في المجتمع هو التناقض الطبقي والصراع الحميم الذي يدور بين الأَغنياء والفقراء وبين العامل ورب العمل إذ هناك الطبقة الأَولى التي تملك رأس المال ومفاتيح الانتاج والطبقة الثانية الطبقة العاملة التي تستغلها الطبقة الاولى وتمتص كلّ ما لديها من طاقة في سبيل تركيز وتكديس الطاقات والثروات بيدها ولا تعطيها من هذه الطاقات الحد الادنى لمعيشتها وما يكفي لكي تقوم بخدمتها مرة ثانية وهكذا دواليك.

إنّنا لو استطعنا أن نجد نقطة التوافق والحل لهذا الصراع الطبقي لاستطعنا أنْ نقضي على الرأسمالية والاستقلال المقيت للإنسان من اخيه الإنسان وهذا ما أَراد بيانه (ماركس) ومن تبعه من الثوار كما يعبر باقر الصدر، ولكنّه يستدرك عليهم أنَّ الصراع والتناقض الطبقي ليس هو أساس التناقضات في المجتمعات وفي مراحل الانتاج في المجتمع بل أن هناك تناقضاً أكبر من ذلك ولو ادركنا أَساليب معالجته لتمكنا معالجة باقي التناقضات كالتناقض الداخلي لمحتوى الانسان (الجدل الانساني) الموجود في صميمه والذي لا صبغة معينة ولا اسلوب تعبيري واحد له بل انّه يأخذ أَساليباً كبيرة حتى إذا عجز عنه اسلوب انتقل إلى آخر وإذ فاتته صبغة أخذ أختها.

يستدل باقر الصدر بالعامل الأَوربي والأَمريكي مع المنتج الأوربي والأَمريكي إذ إنّه من المؤمل إذا صحت نظرة ماركس في تاريخ (المادية التاريخية) أنْ تتصاعد وتيرة الصراع بين هاتين الطبقتين حتى ترى العامل الأَوربي أو الأَمريكي يقضي على منتجه وتذهب آمال الرأسماليين أَدراج الرياح.

إنَّ المجتمعات الرأسمالية جنت الثراء المتزايد والغنى الفاحش الذي لا يرى له افق في انقطاعه إذ تكاتف العامل والمنتج الأَوربي والأَمريكي مع بعضمها وتقاسما الثروات، على حساب تناقض آخر وهو استغلالهما للشعوب الأخرى أو ما يسمى بـ(شعوب العالم الثالث).

إنَّ تناقض المحتوى الداخلي للإنسان لا يعالج إلّا بالاسلام بنظر باقر الصدر، وما طرحه الإسلام من مفاهيم كالتقوى والقناعة والورع والوازع الاخلاقي.. الخ.

إنَّ الجدلية تقضي على نفسها من منظور الصدر فبأي حقّ تتعالى نظرية هيجل أو ماركس على الجدلية في الفلسفة الوضعية. إذ أَنّ كلّ قضية تطرح نقيضها وتحطمها. فضلاً عن أنّ هناك روحانية مزيفة تدعي الفلسفة الغربية تمثلها عند شبينجلر وتوينبي وهذا ما تنبه له بعض فلاسفة المسلمين

المعاصرين ولا سيما باقر الصدر ورغم امتلاك تلك الفلسفة مقومات التعالي على التأريخ الا أنّ هذا التعالي إنساني ويبقى يتأرجح تحت سقف التأريخ.

الهوامش

[١] السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، د.ط، ٢٠٠٧، بغداد، نشر دار أمجد، ص٢٩.

[٢] الجابري، علي حسين، فلسفة التاريخ الفكر العربي المعاصر، د.ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٩٣م، ص٦٣-٧٣.

[٣] اسماعيل، محمود، نهاية أسطورة ابن خلدون، ط١، عامر للطباعة والنشر، المنصورة ١٩٩٦م، ص٩.

[٤] البخاري، جمانة، الفلسفة العربية المعاصرة، مركز الوحدة للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٨م، ص٢٤٦.

[٥] الصدر، محمد باقر، غاية الفكر، ط١، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ١٤٢١هـ، ص ١١-٤٦.

[٦] الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، ط١، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم١٤٢١هـ، ص ٢٩ – ٣٨.

[٧] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، سنن التأريخ في القران، ط١، المؤتمر العالمي للأمام الشهيد الصدر(قده) نشيد مركز الابحاث الدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قده) قم المقدسة،٢٠٠٤، م ص٦٧.

[٨] سورة الاحزاب: الآية ٣٨.

[٩] السورة الاسراء: الآية ٧٧.

[١٠] ينظر: الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن (القرآن وعلومه)، ج١، دار التوجيه الاسلامي، ص٢٢.

[١١] الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ج١، مجمع الفكر الاسلامي، قم ١٤١٧هـ، ص ٣٤٤.

[١٢] الحسيني، علي، المستقبلية، مجلة فصلية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية للطباعة والتوزيع ، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت العدد ٢ سنة ٢٠٠١م ص٢٢٠.

[١٣] الحكيم، محمد باقر، علوم القران، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ص٢٦٦.

[١٤] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية ص٣٠.

[١٥] سورة الاعراف: الآية ٣٤ .

[١٦] سورة الرعد: الآية ١١

[١٧] سورة محمد: الآية ١٠.

[١٨] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية ، ص٣٠.

[١٩] سورة الاعراف: الآية ٣٤.

[٢٠] ينظر: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص٣٥

[٢١] الصدر، محمد باقر، رسالتنا، نشر دار التوحيد، طهران ط١، سنة ١٤٢٥ – هـ – ٢٠٠٤م ص٦٤.

[٢٢] الصدر، محمد باقر، رسالتنا، ص٦٤.

[٢٣] أندرة، روبينه، الفلسفة الفرنسية، فصل فلسفة القرون الوسطى ترجمة: جورج يونس ماذا اعرف، المنشورات العربية ص ٥٣.

[٢٤] باقر الصدر، رسالتنا، ص٦٤- ٦٥.

[٢٥] سورة الأعراف، الآية: ٣١.

[٢٦] باقر الصدر، رسالتنا، ص٦١.

[٢٧] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧٢.

[٢٨] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧٢.

[٢٩] كرين بريتون، تشكيل العقل الحديث، ت شوقي صلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ٢محرم - ١٤٠٥هـ ، اكتوبر – تشرين الاول ١٩٨٤م، ص ٥-٦.

[٣٠] المصدر السابق، ص٣٣ .

[٣١] المصدرالسابق، ص ٩-١٠.

[٣٢] للاستزادة ينظر: محمد باقر الصدر، موسوعة الامام المهدي، ج٤، ص٦٤-٧٦.

[٣٣] محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٦٣.

[٣٤] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١١٥-١٧٠.

[٣٥] المصدر السابق، ص ١٣٣-١٣٤.

[٣٦] محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٥٨-٥٩.

[٣٧] المصدر السابق، ص ٥٨- ٥٩ .

[٣٨] جورج، بولتيزر واخرون، أصول الفلسفة الماركسية، ج٢، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ص١٤.

[٣٩] سورة الصف: الآية ٢ .

[٤٠] الصدر، باقر الصدر، بحث حول المهدي، ط٢، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٥٥-٦٠ .

[٤١] الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، ص٩.

[٤٢] الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ط٢، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ، ص٣٧٧ .

[٤٣] الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، دار التعارف للمطبوعات، ص١٤٤.

[٤٤] المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ج١٨، ط٢، مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣، ص١٢٦،٥٢.

[٤٥] محمد باقر الصدر، موسوعة الإمام المهدي (ع)، ج٢، د.ط ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٣٣٥.

[٤٦]) سورة النور: الآية ٥٥.

[٤٧]) سورة النور: الآية ٥٥.

[٤٨] محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص١٤٣ .

[٤٩] المصدر السابق، ص١٤٥.

[٥٠] المصدر السابق، ص١٤٥.

[٥١] سورة الانبياء: الآية ١٨ .

[٥٢] الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، ص١٤٣.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- اسماعيل، محمود، نهاية أسطورة ابن خلدون، ط١، عامر للطباعة والنشر، المنصورة ١٩٩٦م.
٣- أندرة روبينه، الفلسفة الفرنسية، فصل فلسفة القرون الوسطى ترجمة: جورج يونس، ماذا اعرف، المنشورات العربية، د.ط.
٤- بريتون، كرين، تشكيل العقل الحديث، ترجمة: شوقي صلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢،١محرم، ١٤٠٥هـ– اكتوبر– تشرين الاول، ١٩٨٤م.
٥- بوليترز، جورج، واخرون، اصول الفلسفة الماركسية، ج٢، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٦- البخاري، جمانة، الفلسفة العربية المعاصرة، مركز الوحدة للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
٧- الجابري، علي حسين، فلسفة التاريخ الفكر العربي المعاصر، د.ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٩٣م.

٨- الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.
٩- الحسيني، علي، المستقبلية، مجلة فصلية، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية للطباعة والتوزيع، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، العدد ٢ سنة ٢٠٠١م.
١٠-السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، د.ط، ٢٠٠٧، بغداد، نشر دار أمجد.
١١- الصدوق، ابو محمد بن علي بن الحسن بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٢-محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ج١٨، مؤسسة الوفاء بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ،١٩٨٣م.
١٤-الصدر، محمد باقر، غاية الفكر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
١٥-الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١ – ١٤٢١هـ.
١٦-الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، سنن التأريخ في القرآن المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر(قده)، نشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قده)، قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٤م.
١٧- الصدر، محمد باقر، رسالتنا، نشر دار التوحيد، طهران، ط١، سنة ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٤م.
١٨- الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي (ع)، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم ، ط٢، ١٤٢٥هـ ،٢٠٠٤م.
١٩-الصدر، محمد باقر، موسوعة الإمام المهدي (ع)، ج٢، د.ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٠- محمد صادق الصدر، موسوعة الامام المهدي(ع) (اليوم الموعود)،ج٤، ط١، مؤسسة بقية الله، النجف، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.